الاستلزام الحواري في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في كتاب نهج البلاغة مبدأ المناسبة انموذجاً

أ.د. مؤيد مهدي فيصل زينة حسين سعدون

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Zinehh756@gmail.com

M.fasal@utq.edu.iq

الملخص:

يتجسد مفهوم مبدأ المناسبة هذا المبدأ بضرورة أن يكون الخطاب مناسباً لمقام المتكلم ، أي أنَّ يجعل المتكلم كلامه على صله وثيقة بالموضوع ، وبهذا تأتي أهمية هذا المبدأ من ضرورة ملاحظة المناسبة التي يستلزم وجودها الخطاب بين المتكلم والمتلقي ، فهي داعية إلى خلق حال من التفاعل بينهما ، ممَّا يزيد من تنبيه المتلقي لما يتضمنه الخطاب من مضامين يسعى المتكلم إيصالها إلى المتكلم ضمن جو من التفاعل القائم على أساس التبادل للحدث القولي ، فمراعاة مبدأ المناسبة كفيل بتحقيق هذه السمات في الحدث القولي ، ومن هنا رأى غرايس أن يتبع هذا المبدأ المبدأين (مبدأ الكم ، ومبدأ الكيف) بالأهمية ، لكن قد يحدث أن ينتهك هذا المبدأ شأنه في هذا شأن بقية المبادئ ، وهذا ما سيقف عنده المبحث ضمن رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه ؛ لنكشف عن تجلياته في أقواله ووصاياه .

الكلمات المفتاحية : (المناسبة، الحوار، الوصية، استلزام حواري).

Representations of the submissive other in political poetry in the Abbasid era

Zenaa Hussien Sadoon Moyad mahdi faisal

Dhi Qar University / College of Education for Human Sciencs

Abstract`:

The concept of the principle of appropriateness is embodied in this principle by the need for the speech to be appropriate to the position of the speaker, that is, for the speaker to make his speech closely related to the topic. Thus, the importance of this principle comes from the necessity of noting the occasion whose presence necessitates the speech between the speaker and the recipient. It calls for creating a state of interaction between them, which increases the recipient's alertness to the contents contained in the speech that the speaker seeks to convey to the speaker within an atmosphere of interaction based on the exchange of the verbal event. Observing the principle of appropriateness is sufficient to achieve these features in the verbal event, and from here Grice saw That this principle follows the two principles (the principle of quantity and the principle of quality) with importance, But it may happen that this principle is violated, just like the rest of the principles, and this is what the research will focus on within the letters and commandments of Imam Ali (peace be upon him). Let us reveal His manifestations in His sayings and commandments.

Keywords : (Occasion, dialogue, commandment, dialogue obligation).

مبدأ المناسبة

قاعدة المناسبة أو الملائمة تعدُّ من أبرز قواعد الاستلزام الحواري ، وعليه تتخذ هذه القاعدة مجالاً محدداً في الخطاب ، وهو أن يكون الكلام مناسباً للموضوع المُتكلَّم فيه ، فهي ترتبط بالإطار الخارجي للخطاب أو الحدث الذي كان سبباً في إنتاجه ، وترتبط بالجهات الداخلية في هذا الخطاب

أيضاً ، فهي حلقة وصل بين ما يحيط به وما يدخل فيه، ويجب أن يكون الخطاب ملائماً ومناسباً لما هو خارجه ، وتسعى إلى إلزام المتكلم بعدم الخروج عن الموضوع إلى ما لا يخصُّه ، أي أنْ يكون الكلام ذا اتجاه واحد لا غير[١].

وتنص هذه القاعدة على ((مراعاة علاقة المقام بالمقال ، أي لتكن مشاركتك ملائمة ومناسبة للموضوع المطروح))[٢].

وفي مستعمل الحديث يتطلب في قاعدة المناسبة أن يقدّم كل مشارك في الخطاب مساهمة فعالة مفصّلاً بمشكلة المحادثة ، وهذه القاعدة تسمى مبدأ العظمى شيء من ترتيب المحادثة الرئيسة، وفي هذه القاعدة تحصل محددات في طلب الموضوع العشوائي بسبب قاعدة العلاقة .

ومن الجدير بالذكر إقامة هذه القاعدة تعاوناً جيداً بين المتكلم والمحاور ، ويجب أن يكون كل منهم قادراً على تقديم المساهمة الملائمة حول ما يحدث [٣].

ومفاد هذه القاعدة إنَّ المتكلم إذا تحدث في موضوع ما فوجب عليه أن لا يخرج من إطار هذا الموضوع ، أي أن يبقى الكلام محدداً في ضوء هذه القاعدة وهي أحدى مقاصده ، والهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أُخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب ، أي يراعي علاقة المقام بالمقال (("ليناسب مقالك مقامك" ، وترمي إلى أن يناسب القول ما هو مطلوب في كل مرحلة ، أي وجب تعلق الحجر بالمقام))[٤].

وتنص هذه القاعدة على أن يكون الحوار المتبادل بين المتكلم والمخاطب مناسباً وملائماً للسياق الذي ورد فيه الخطاب .

وعن طريق الكلام السابق يمكن أن نوضح قاعدة المناسبة عند غرايس بشكل مخطط يوضح تفرعات هذه القاعدة

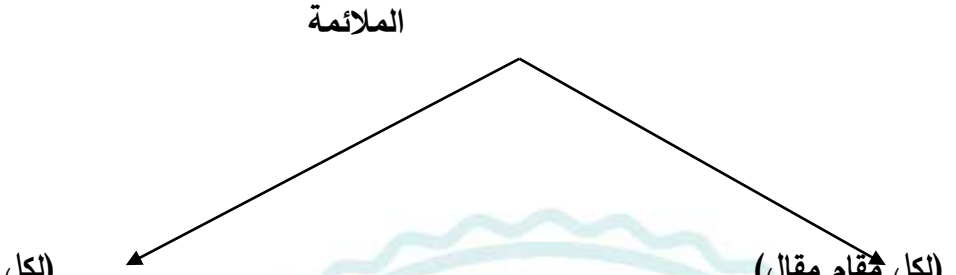

_ مسميات قاعدة الملائمة :

يختلف المترجمون حول تسمية هذه القاعدة التي وضعها غرايس ، فمنهم من اطلق عليها تسمية (العلاقة) ، وهم سيف الدين دغفوس ، ومحمد الشيباني ، وطه عبد الرحمن ، وقصي العتابي محمد يحياتن ، وأدراوي العياشي، وصابر الصابئة ، وحمو الحاج ذهيبة .

ومن جهة أخرى اطلق عليها بعضهم (الصلة) ومنهم : نازك إبراهيم عبد الفتاح ، وهشام إبراهيم عبد الله الخليفة .

ولا بدَّ من الإشارة الى انه اطلق عليها بعض المترجمين (الورود) ، ومنهم : أدراوي العياشي ، وأحمد المتوكل ، وعليه اطلق حمو الحاج ذهيبة على قاعدة المناسبة مصطلح (الإفادة) ، الأمر الذي يقتضي أن ننوه عليه إنَّ محمود أحمد نحلة ، وعبد الهادي بن ظافر الشهري ، وهشام إبراهيم عبد الله الخليفة ، وجميل حمداوي ، اطلق تسمية (المناسبة) ، وعلاوة على ذلك اطلق تسمية الملائمة كل من مسعود صحراوي ، وأدراوي العياشي .

واستناداً إلى ما ذُكر نلحظ أن هذه القاعدة لها تسميات كثيرة تختلف عن قواعد الاستلزام التي ذكرها غرايس ، وويجب أن ننوه إلى أنَّ غرايس لم يضمنها إلا شرطاً واحداً ، ومن ترجماتها العلاقة ، وهذا راجع إلى اللفظ الأجنبي (Velation) في حد ذاته(٥).

ولا بدَّ من التأكيد أنَّ بعض المترجمين اطلق على هذه القاعدة بـ(الصلة) ، ومنهم نازك إبراهيم عبد الفتاح في ترجمتها لنص جيني توماس ، إذ شرطت القاعدة بأنَّها ((تشترط على المتحاور أن يكون وثيق الصلة))(٦).

وهناك آخرون اصطلحوا عليها مسمى (المناسبة) ، منهم : عبد الهادي بن ظافر الشهري في حديثه عن المبدأ الذي ((فرَّع عنه _ أي غرايس_ عدداً من القواعد الرئيسية وهي قاعدة الكم وقاعدة النوع وقاعدة المناسبة وقاعدة الكيف))(٧)، فلما كان من شروط القاعدة أن يتناسب الجواب مع السؤال سمَّيت عندهم بقاعدة المناسبة .

ومن أمثلة المناسبة في رسائل الإمام علي ووصاياه :

((فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام)، خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ))(٨).

يتحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا النص عن مناسبة اختيار النبي آدم خيرة من خلقه ، وعليه فأنَّ معنى **(مَهَدَ أَرْضَهُ)** : سواها وأصلحها ، ومنه المهاد وهو الفراش ، ومهدت الفراش ، بالتضعيف مهداً ، أي بسطته ووطأته ، وقوله : **(خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ)** تكون على وزن (فِعَلة) مثل عنبة ، الاسم من قولك : اختاره الله ، يقال : محمد خِيَرَة الله من خلقه ؛ ويجوز : (خيْرة الله) بالتسكين ، والاختيار : الاصطفاء ، وقصد (عليه السلام) بقوله : **(وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ)**، أي تقدّم إليه بالإنذار ، ويجوز (ووَّعز إليه) بالتشديد توعيزاً ، وإنَّ الغاية من التشديد هي لغرض القوة ، وفي هذا النص يدلُّ على قوة الإنذار .

ويجوز التخفيف أيضاً (وعزا إليه وعّزا) ، التخفيف يدلُّ على السهولة ، أمَّا من الجانب النحوي فإنَّ الواو في (وأعلمه) هي واو عاطفة و (وأوعز) لا على (نهاه)[٩].

ويلحظ إنَّ الحوار في هذا النص استلزم مناسبة اختيار النبي آدم (عليه السلام) خيرة من خلقه ، وعليه فإنَّ مهمة المتكلم في النص تكون صعبة وكبيرة ؛ لأنَّه في حيرة من أمره ، بين العناية بمضمون الكلام ومراعاة المخاطب ، فهو أولى كلامه الاهتمام فإن تحقيق الغاية التي انتصب لأجلها متكلما مخاطباً ، وهي الإفهام والإمتاع والتأثير في نفس المخاطب[١٠].

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله :

((وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَها، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضَّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِك الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا و فَقِيرِهَا. ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفَرَجِ أَفْرَحِهَا غُصَصَ أتراحها، وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لَمَرائِرِ أَقْرَانِهَا))[١١].

يتبين الاستلزام الحواري في هذا النص بظهور قاعدة المناسبة ، إذ إنَّ سياق هذا النص يدور حول تقسيم الله تعالى الأرزاق على الناس .

وفي النص أعلاه وردت قاعدة المناسبة في قوله **(وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَها، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضَّيقِ والسَّعَةِ)** ، وفي مستعمل الحديث فإنَّ معنى الضيق هو الملل والحسرة والحزن يمر به الشخص لأمر ما ، أما كلمة (فعدل) ، بالتخفيف ، فمن العدل نقيض الظلم ، و إنَّ الميسور والمعسور هما مصدران ، قال سيبويه : هما صفتان ، ولا يجيء عنده المصدر على وزن (مفعول) البتّه ، وعليه فأنَّ معنى (دعه إلى ميسوره) ، يقول كأنه قال : دعْه إلى أمر يوسر فيه[١٢].

يبدأ هذا النص بكلام الإمام علي (عليه السلام) عن الرزق الذي ينزله الله تعالى على البشر ، وكيف يوزعه بينهم ، فنراه تارة يعطي أرزاقاً وفيرة ، وتارة أخرى يقلل ويضيق الرزق على العباد ؛ وذلك ليختبر صبر وقوة إيمان البشر ، وهذا الكلام صادر من المتكلم وهو (الإمام) إلى

المخاطب وهم (الناس) ، إذ جاء هذا النص على شكل رسالة فيها نصح وإرشاد وموعظة للناس بقبولهم الأرزاق مهما كانت قليلة .

واستناداً إلى ما سبق يؤكد غرايس أهمية السياق ودوره في تحديد المعاني المستلزمة ، وعندما تندرج كلمة أو جملة في التداول الفعلي نقوم بتفسيرها على وفق المقام والسياق الذي وردت فيه ، وعليه فإنَّ مدلول العبارة ((قد يتجاوز المعنى الحرفي لمجموع ألفاظها ، وقد يتولد المعنى لدى المخاطب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة ، دون أن يكتمل معناها بعد لدى المخاطب ، وعلى هذا يكشف على إنَّ المعنى الحرفي والمصرح به ليس سوى جزء من المعنى ، أما الجزء المتبقي فيتدفق على كل المتكلم والمخاطب[١٣].

ومن مبدأ المناسبة في احدى وصاياه ما ورد في قوله :

((ومن كلام لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) لمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان : دَعُوني وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً.))[١٤].

يتضح الاستلزام الحواري في هذا النص بقاعدة المناسبة ؛ لأنَّ سياق هذا النص يدور حول الناس الذين أرادوا الإمام علي (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ، إذ إنَّ مناسبة هذا النص هو بيعة الناس للإمام ، وعليه لما أراده الناس على البيعة، وجدت في بعضها إرادة الناس على البيعة ، فمن روى الأول جعل (على) متلّقة بمحذوف ، وتقديره موافقاً ، ومن روى الثاني جعلها متعلقة بالفعل الظاهر نفسه ، وهو (أداره) تقول أحدث فلاناً على كذا ، وداورت فلاناً على كذا ، أي كالجنة[١٥].

ومن جهة أخرى فإنَّ قاعدة المناسبة يجب أن تراعي المتحاورين وعلاقة المقال بالمقام ، والهدف من هذه القاعدة منع المتكلم من السير إلى اتجاه آخر خارج عن معنى السياق ، وبطبيعة

الحال جاء هذا النص على شكل رسالة أراد أن يوضح فيها أنَّه لم يصغ إلى كلام الناس الذين بايعوه لكي يكون حاكماً عليهم ، فاستصفاهم وسألهم أن يطلبوا شخصاً غير ، قال لهم كلام مبهم وعميق لم يفهموه، والقصد ومناسبة هذا الكلام الذي قاله هو إنذار بحرب المسلمين بعضهم ببعض ، واختلاف الكلمة وظهور الفتنة .

ومن جهة أخرى فإنَّ العمل الذي قام به غرايس هو تقعيد التخاطب كان له التأثير الكبير في تحديد المبادئ الرئيسة في عمليات المحادثة وأشكال التواصل بين المتخاطبين ، وهي مبادئ أسهمت إلى حد كبير في إبراز القيمة التداولية للكلام ، وأعطت مفهوماً جديداً للمعنى الضمني ، والمعنى الحرفي ، ولمعنى التأويل والفهم(١٦).

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله :

((مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً ، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ ، كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ))(١٧).

جاء هذا النص على شكل وصية من وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، يوصي الإمام في هذا النص بذكر الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، أمَّا الاستلزام الحواري فيظهر في هذا النص عن طريق قاعدة المناسبة أو الملائمة ، وإنَّ مناسبة هذا النص هي ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فالإمام في هذا النص له قصد وغاية من هذا الذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وغايته ذكر خصائصه ومميزاته وكرمه الذي ميزه عن البشر ، فيلحظ من سياق الكلام القصد والمناسبة ذكر الإمام لرسول الله . وعليه فأنَّ المقصود بكلمة المهاد في النص أعلاه هي الفراش ، ولما قال في معادن وهي جمع معدن ، قال بحكم القرينة والازدواج ، وإن لم يكن الواحد منها ممهداً، وعليه فإنَّ غاية الإمام في قوله : **(قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ)** ، أي نحو رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ولم يقل مَنْ صرفها ، بل جعله فعلاً لم يُسم فاعله ، وإن شئت قلت : الصارف لها هو الله تعالى لا

بالجبر كما يقوله الأشعرية ، بل بالتوقيف واللطيف ، كما يقول أصحابنا ، وإن شئت قلت : صرفها أربائها[١٨].

وعند النظر إلى سياق النص والمناسبة التي قيل فيها ، نلحظ إنَّ الخطاب موجه إلى مجموعة من الناس ، ولم يخصص شخصاً معيناً ، فظاهر القصد من هذا الكلام مدح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لكي يقتدي الناس به ، ولسياق ومناسبته هذا القول أهمية كبيرة في إيضاح مقاصد المتكلم وهو (الإمام) ، فمن خلال السياق يتضح لنا مقصده المراد التعبير عنه .

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله (ع):

((وَلَئِنْ أَمْهَلَ اللهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بَالمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ . أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي))[١٩].

يتحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا النص عن الظلم ، وكيف أنَّ الله تعالى يعطي الظالم فرصة لكي يتوب عن ذنبه ، فإذا تاب واستغفر عفى الله عنه ، أمَّا إذا بقي في عصيانه فإنَّ الله لم يتركه ، وهو له بالمرصاد في كل مكان وزمان.

ويتبين الاستلزام الحواري في هذا النص عن طريق قاعدة المناسبة ؛ لأنَّ سياق النص يتحدث عن الظالم ، وعليه أمهله يعني أخّره وأخذه فاعل والمفعول محذوف تقديره (فلن يفوته) ، والمرصاد الطريق ، وهي من ألفاظ الكتاب العزيز، وتماشياً مع ذلك فأنَّ مجاز طريقه يعني مسلكه وموضع جوازه ، والشجا ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره ، وموضع الشَّجا هو الحلق نفسه[٢٠].

والحوار في هذا النص يدور بين شخصين هما الإمام (عليه السلام) و(الناس) الذين يخاطبهم ، وإنَّ مناسبة الحوار في هذا النص هي التكلم عن الظلم والظالم ، وكيف ينبه الإمام الناس

ويحذرهم من الابتعاد عنه ؛ لأنَّ فيه ضررا لهم، واستعمل أسلوب النصح والإرشاد والتحذير بعبارات في غاية البداعة والأسلوب والروعة دون أن يكون هناك تكلف أو ملل لمتلقي النص .

واستناداً إلى ما سبق فإنَّ في قاعدة المناسبة أو الملائمة يجب أن يراعي المتحاورون علاقة المقال بالمقام ، والهدف منها منع المتكلم أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لقصد الحوار(٢١).

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله :

((وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَ اِنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ اَلْجُفَاةُ اَلطَّغَامُ وَ أَعْرَابُ أَهْلِ اَلشَّامِ وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ اَلْعَرَبِ وَ يَآفِيخُ اَلشَّرَفِ وَ اَلْأَنْفُ اَلْمُقَدَّمُ وَ اَلسَّنَامُ اَلْأَعْظَمُ ...))(٢٢).

يظهر الاستلزام الحواري في هذا النص عن طريق قاعدة المناسبة ، وعليه فأنَّ مناسبة هذا النص هو حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن أيام معركة صفين ، والإمام في هذا النص يوجه نصح وإرشاد وملاحظات حول الجماعة الذين شاركوا في هذه المعركة ، واستعمل أمير المؤمنين أجمل اللفظ ، وعني به اللفظ المنفر ، عادلاً عنه إلى لفظ لا تنقير فيه ، والمقصود بجولتكم هزيمتكم .

والجدير بالذكر أنَّ معنى قوله : **(اِنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ)** كناية عن هروب هؤلاء القوم في وقت المعركة ، ومن جهة أخرى وهذا باب من أبواب البيان لطيف، وهو حسن التوصّل بإيراد كلام غير مزعج ؛ عوضاً عن لفظ يتضمن جبهاً وتقريعاً(٢٣).

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله (عليه السلام) :

((اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ))(٢٤).

يعدُّ هذا النص من أهم النصوص التي تكلّم عنها أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ ذكر النبي (صلّى الله عليه وآله) وقام بمدحه ، وعليه فقد ذكر الإمام أنَّ الله تعالى في هذا النص اختار

النبي (صلّى الله عليه وآله) من شجرة الأنبياء أولاد إبراهيم (عليه السلام) ؛ لأنَّ أكثر الأنبياء منهم ، ومن هذا المنطلق ذكر الإمام في هذا النص مشكاة الضياء ومعناه كوه غير نافذ ، يجعل فيها المصباح ، ومن جهة أخرى فأنَّ الإمام (عليه السلام) قام بمدحه وبيان صفاته ، وكيف أنَّ الله ميزه عن البشر، والذؤابة طائفة من شعر الرأس .

ويلحظ في هذا النص ظهر الاستلزام الحواري على شكل قاعدة المناسبة ، إذ ناسبه موضوع الوصية مع السياق الخاص بالنص ، وتنطوي وجهة النظر في أنَّ الإمام (عليه السلام) استعمل كلمات كانت قريبة من المتلقي وواضحة المعالم لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير من قبل متلقي الخطاب ؛ لأنَّ سياق النص مناسب مع موضوع النص ، ولتوضيح ذلك فإنَّ مناسبة هذا النص ذكر نبي الله (صلّى الله عليه وآله) وذكر صفاته ومدحه .

وانطلاقاً ممَّا سلف أنَّ مفهوم الحوار في هذا النص كانت كلماته قصيرة وموجزة ومعبرة عن معنى ضمني بليغ ، فقد أدى ع طريق مبدأ الطريقة أو المناسبة استلزاماً حوارياً في غاية الدقة والجمال ، وعليه فأنَّ مبدأ المناسبة ما هو إلَّا حد مقصدي ، الهدف منه منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب ، أي يراعي علاقة المقال بالمقام[٢٥]، وتقول هذه القاعدة ((ليناسب مقالك مقامك أي أن تكون وثيق الصلة بالموضوع))[٢٦].

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله :

((فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ))[٢٧].

المتمعن في هذا النص يلحظ إنَّ الاستلزام الحواري جاء في النص أعلاه على شكل وصية من وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) في حث أصحابه على القتال وعليه ناسبه موضوع الوصية مع الكلام الموجود في النص ، وعليه ذكر الإمام الدارع معناه لابس الدرع والحاسر الذي لا درع

عليه ولا مغفر ؛ أمرهم (عليه السلام) بتقديم المستلئم على غير المستلئم ؛ لأنَّ سورة الحرب وشدّدها تلقى وتصادف الأوَّل فالأوَّل ؛ فواجب أن يكون أوَّل القوم مستلئما[٢٨].

وعلاوة على ذلك فإنَّ مبدأ المناسبة يجب أن يكون فيه تعاون بين المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه ، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام[٢٩]، وبما لا يدع مجالاً للشك ، فإنَّ هذا النص الذي جاء على شكل وصية من وصايا أمير المؤمنين قد ناسب موضوع الوصية مع السياق الوارد في النص ، فإنَّ المتكلم في التخاطب والتواصل بشكل عام ينجح نحو التعاون مع محاوره قصد إنجاح المحاورة ، وتقتضي فرضية غرايس أنَّ المخاطب يستند على هذا التعاون للقيام باستدلالات غير مبرهنة[٣٠].

ومن أمثلة قاعدة المناسبة ما ورد في قوله :

((وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ))[٣١].

جاء هذا النص على شكل وصية من وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ويتبين الاستلزام الحواري هنا عن طريق قاعدة المناسبة أو العلاقة كما يسموها البعض ، إذ إنَّ موضوع الوصية تناسبه مع محتوى النص المذكور ، وتماشياً مع ذلك فقد نهى الله تعالى عن الغيبة ، وحذَّر الناس بأن لا يغتب بعضهم بعضاً ، وذكر ذلك في كتابه العزيز ذمّ الغيبة ، قال تعالى : ﴿**ولا يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضًا**﴾ [الحجرات : ١٢]، وفي هذا النص يجب أن ننوه أنَّ هذا النص جاء على شكل وصية من وصايا الإمام علي (عليه السلام) استعمل فيها أسلوب النصح والإرشاد والنهي والابتعاد عن غيبة الناس ، وعليه ذكر العلماء في حدَّ الغيبة : أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرت نقصاناً في بدنه ، مثل أن نقول : الأقرع، أو الأعور ، أو في نسبة نحو أن تقول : ابن الببطيء وابن الإسكاف أو الزبال...[٣٢]، ومن جهة أخرى ذكر (عليه السلام) أنَّ الأسباب الباعثة

على الغيبة منها شفاء الغيظ ، وذلك أن يجري من الإنسان سبب يغضب به عليه أخر ، فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساوئه ، موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ، فإنَّهم إذا اجتمعوا ربَّما أخذوا يتفكهون بذكر الأعراض ، فيرى أنَّه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ، ونفروا عنه[٣٣]، ومن هذا المنطلق ناسبه موضوع الوصية مع محتوى النصي ، ويتجسد مفهوم هذا المبدأ بضرورة أن يكون الخطاب مناسباً لمقام المتكلم ، أي أن يجعل المتكلم كلامه على صلة وثيقة بالموضوع ، وعليه تأتى أهمية هذه القاعدة بضرورة ملاحظة المناسبة التي يستلزم وجودها الخطاب بين المتكلم والمتلقي ، فهي داعية إلى خلق حال من التفاعل بينهما ، ويساعد هذا في تنبيه المتلقي لما يتضمنه الخطاب من مضامين يسعى المتكلم إلى إيصالها ضمن جو من التفاعل القائم على أساس التبادل للحدث القولي .

.

الخاتمة

١_ اتسمت قاعدة المناسبة في رسائل ووصايا الإمام علي (عليه السلام) بنوع من الأهمية التواصلية بين المتحاورين مما جعل الخطاب مفهوما وواضحا.

٢_ تُعدُّ قاعدة المناسبة من أهم قواعد الاستلزام الحواري فهي تتخذ مجالا محدد بين طرفي الخطاب، والسياق الخارجي والداخلي للنص يكون مناسبا للحديث بين الطرفين.

٣_ عن طريق قاعدة المناسبة يمكن تحديد المعاني المستلزمة وفقا للسياق والمقام الذي ترد فيه هذه المعاني.

الهوامش:

(١) يُنظر : الاستلزام الحواري في خطب نهج البلاغة الطوال (دراسة تداولية) : ١٧١ .

(٢) جدلية الأدلة ، ومقتضيات الاستلزام الحواري في مناظرة السيرافي : ٣٦ .

(٣) يُنظر : انتهاك مبدأ التعاون في فيلم كرتون حسن بن سينا بنظرية غرايس : ١٦_١٧.

(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٩_١٠٠ .

(٥) يُنظر : الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات : ٨٧ .

(٦) يُنظر : المعنى في لغة الحوار ، جيني توماس ، ترجمة : نازك إبراهيم عبد الفتاح : ٨٣.

(٧) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظاهفر الشهري : ٩٦ .

(٨) شرح نهج البلاغة : ٧/٣ .

(٩) يُنظر : شرح نهج البلاغة : ٣/٧ .

(١٠) يُنظر : أسلوب مراعاة المخاطب وسلطة المتلقي في أدب التوحيدي مفران فصيح : ٧٣.

(١١) شرح نهج البلاغة : ١٧/١ .

(١٢) يُنظر : شرح نهج البلاغة : ١٤/٧ .

(١٣) الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، حسن الباهي : ١٢٧ .

(١٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢٠/٧ .

(١٥) يُنظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢٠/٧ .

(١٦) عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير : ٢٥ .

(١٧) شرح نهج البلاغة : ٤٠/٧ .

(١٨) يُنظر : شرح نهج البلاغة : ٤٠/٧_٤١ .

(١٩) المصدر نفسه : ٤١/٧ .

(٢٠) يُنظر : شرح نهج البلاغة : ٤١/٧ .

(٢١) يُنظر : الاستلزام الحواري في ديوان رحيق الألم لرواية جراد ، دراسة تداولية ، ياسمين فرحون رزقية خوالدي : ٣٩ .

(٢٢) شرح نهج البلاغة : ١٠٧/٧ .

(٢٣) يُنظر : المصدر نفسه : ١٠٧/٧ .

(٢٤) شرح نهج البلاغة : ١٠٨/٧ .

(٢٥) يُنظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٩_١٠٠ .

(٢٦) التداولية ، جورج بول ، ترجمة : ققي عتابي : ٦٨ ، اللسان والميزان أو التكوير العقلي ، وطه عبد الرحمن

(٢٧) شرح نهج البلاغة : ٣/٨ .

(٢٨) يُنظر : المصدر نفسه : ٣/٨ .

(٢٩) يُنظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن : ٢٣٠ .

(٣٠) يُنظر : تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين اجعيط : ٧٦ .

(٣١) شرح نهج البلاغة : ٣٧/٩ .

(٣٢) يُنظر : المصدر نفسه : ٤١/٩ .

(٣٣) يُنظر : شرح نهج البلاغة :٤١/٩ .

المصادر والمراجع

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ،

٢. الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، العياشي أدراوي ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط١، ١٤٣٢هـ _ ٢٠١١م .

٣. الاستلزام الحواري في خطب نهج البلاغة الطوال (دراسة تداولية) ، علي عباس فاضل ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ١٤٣٧هـ _ ٢٠١٦م .

٤. الاستلزام الحواري في ديوان رحيق الألم لرواية جراد ، دراسة تداولية ، ياسمين فرحون رزقية خوالدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الحربي بن مهيدي أم البواقي ، ٢٠٢١ .

٥. الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات ، رندة قدور ومحمد بن أحمد ، جامعة البليدة ٢ علي لونيسي ، الجزائر ، مختبر اللغة العربية وآدابها .

٦. أسلوب مراعاة المخاطب وسلطة المتلقي في أدب التوحيدي (ت٤٢٠هـ) مفران فصيح ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، عدد ٤٦ ، جوان ٢٠١٦م .

٧. انتهاك مبدأ التعاون في فيلم كرتون حسن بن سينا بنظرية غرايس دراسة تداولية ، غيلانج ماهر المرشد ، رسالة ماجستير ، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ، مالانج ، ٢٠٢١م .

٨. تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين اجعيط ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، (د.ط) ، ٢٠١٢م.

٩. التداولية ، جورج بول ، ترجمة : فقي عتابي ، دار العربية للعلم ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، (د.ت).

١٠. جدلية الأدلة ، ومقتضيات الاستلزام الحواري في مناظرة السيرافي ، يونس بن منى ، المجلد ٨ ، العدد٤ ، ٣١ديسمبر / كانون الأول ٢٠٢١ ، جامعة البليدة٢ لونيسي علي ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، مختبر الدراسات الأدبية والنقدية .

١١. الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، حسن الباهي ، الدار البيضاء ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

١٢. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م.

١٣. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م .

١٤. اللسان والميزان أو التكوير العقلي ، وطه عبد الرحمان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨ .